IV

كتاب آداب السلوك إلى حضرة مالك الملك وملك الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الكريم الذى يسير عباده فى الآفاق ليريهم عجايب قدرته وغرايب حكمته ، ويشاهدوا فى أطراف العالم وأكتافه دلايل عظمته وبراهين رأفته ، الحكيم الذى يثبت نفوسهم ويظهر بواطنهم بوسيلة تعب الأسفار وركوب الأخطار والتباعد عن الأهل والدار عن السكون إلى الأغيار والالتفات إلى سواء حضرته وغيرته ، والصلوة والسلام على سيّد ولد آدم وأفضل ذريته وعلى آله الطاهرين وأصحابه وأمّته وسلّم سلاماً كثيراً .

١ — أما بعد ، فاعلم يا عبد الله أنك مسافر إلى الله ، ولا بدّ لك لقاء الله . قال عزّ من قائل « من كان يرجو لقاء الله فانّ أجل الله لآت » ، وإن الله تعالى بكمال قدرته وجمال حكمته ، قدّر لابن آدم سفرين ، ودبّر له سيرين . أحدهما قهريّ اضطراريّ ، والآخر كسبيّ اختياريّ . أما السفر الاضطرارى فبدايتك من صلب أبيك ، والمنزل الثانى رحم أمّك ، والمنزل الثالث دنياك ، والمنزل الرابع القبر ؛ وهو إما روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران . والمنزل الخامس يوم القيمة الذى مقداره خمسين ألف سنة ، ثم تصل بعد ذلك إلى المقام الأصليّ والوطن الأبديّ ، وهو دار السلام إن كنت من جملة السعداء والأولياء ، أو دار الجحيم إن كنت — والعياذ بالله — من زمرة الأشقياء والأعداء : « فريق فى الجنّة وفريق فى السعير » . وكل نفس من أنفاسك فهو على مثال خطوة تخطوها إلى منزل قبرك ، وكل يوم من أيامك فهو على مثال فرسخ ، وكل شهر مضى عليك فهو على مثال مرحلة ، وكلّ سنة فهو على مثال منزل . وسيرك كسير الشمس والقمر وأنت عن هذا السير غافل وعن التأهّب والاستعداد لمنزل القبر والمرور بمنزل القيمة والوطن الأصلى الأبديّ ساه ذاهل .

7 سورة ٢٩ آية ٥ — 13-14 سورة ٤٢ آية ٧

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

٢ — وأمّا السفر الكسبي الاختيارى ، فينقسم إلى قسمين . أحدهما سفر القلوب والأرواح إلى حضرة الملك الجبّار . والثانى سفر القوالب والأشباح فى أرض الله . ونحن نذكر لك فى كل واحد من هذين السفرين باباً يرشدك إلى مقاصده ومطالبه ويدلّك على تهيئة أسبابه وتفتح أبوابه وتنقيح آدابه ، فيكون عوناً لك فى البرّ والتقوى ، ومدد صاحب الهوى وذخيرة لمؤلفه عند المولى إن شاء الله تعالى . اللّهم افتح لنا أبواب فضلك ورحمتك ياكريم

الباب الأوّل

فى بيان حقيقة السفر القلبي الروحانى إلى حضرة العزة وبيان فضيلته

٣ — إعلم ، يا عبد الله ، أنّ الله — تبارك اسمه — إنما خلق ابن آدم ليسافر قلبه إلى الله ويصل إلى حضرته ، فيشاهد جلاله وجماله . فهذا نهاية المقاصد والمطالب وغاية العطايا والمواهب ، لأجله خلق الدنيا وما فيها ، ولأجله خلق العقبي وما فيها ، ولأجله بعث الأنبياء والرسل ، ولأجله أنزل الفرقان والكتب . قال تعالى « وما خلقنا الجنّ والإنس إلا ليعبدون » . قال ابن عباس — رضى الله عنه — « أى ليعرفون » . قال تعالى فيما يحكى عنه «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف » .

٤ — وما حقيقة هذا السفر ، فاعلم ، يا عبد الله ، أن لقلب ابن آدم عقبات وحجب ومنازل البعد ودرجات ومقامات ومنازل القرب ، فاو لم يتجاوز عن عقبات البعد لا يصل إلى درجات القرب ، وما لم يتجاوز حجب النفس ، لا تنكشف له حضرة القدس . فأوّل عقبةٍ وحجابٍ من حضرة العزّة هو الجهل به تعالى ، والشرك فى وحدانيته ، والشك فى صفاتٍ جلاله ونعوت كماله ، إذ كلّ ذلك كفر بالله العظيم . وذلك أعظم الحجب وأغلظها . قال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » . فلا بدّ لطالب الحقّ من أن يسافر قلبه من ظلمات الجهل إلى نور العرفان ، ومن ظلمات الشكّ إلى نور الإيقان ، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن ظلمات الإنكار إلى نور الإيمان ، وإلاّ فيبقى قلبه وبدنه فى الظلمات والدركات والعقوبات أبد الآباد إذ ذاك حكم تعالى فى حقّ الكفار وأهل العناد .

11 سورة ٥١ آية ٥٦ — 19 سورة ٤ آية ١١٦

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

٥ — المنزل الثانى من منازل القرب ، منزل الطاعة والعبودية ، قال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربّكم » وقال تعالى فيما يحكى عنه نبيه — صلى الله عليه وسلم — « ما تقرّب المتقرّبون إلىّ بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه » (الحديث) . فلا بدّ لمن عرف مولاه أن يطيعه ، ولمن آمن بمعبوده أن يعبده . وإلا فيبقى فى ظلمات العصيان ودركات الكفران فالمعصية منزل بُعد كما أن الطاعة وسيلة قُرب .

٦ — المنزل الثالث من منازل القرب ، الأخلاق الحسنة . فعليه أن ينتقل من الأخلاق الذميمة المبغوضة إلى الأخلاق الحميدة المحبوبة . فانّ كل خُلق محمود فهو وسيلة إلى قرب المعبود ، كما أنّ كلّ خُلق مذموم ، فهو ذريعة إلى بعد مشؤوم . فعلى الطالب الصادق أن ينتقل من ظلمات الكبر إلى نور التواضع ، ومن رذيلة الحسد إلى فضيلة الشفقة ، ومن دركات البخل إلى درجات الجود ، ومن ظلمات الكنود إلى نور الشكر ، ومن ظلمات الرّياء والسمعة إلى نور الإخلاص ، ومن ظلمات حبّ الزهرات إلى نور حب ربّ الأرض والسموات ؛ وأن ينتقل من ظلمات الأرض إلى نور الخشية والخوف ، ومن ظلمات اليأس والقنوط إلى نور الرجاء وحسن الظنّ ، ومن ظلمات الغضب إلى نور الكظم والحلم ، ومن ظلمات الجزع والاضطراب عند نزول البلاء إلى نور الصبر والرضاء بمرّ القضاء ، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر ، ومن ظلمات التحير والإقهار إلى نور التكسّر والافتقار ، ومن ظلمات الاعتماد على الأسباب إلى نور التوكل على ربّ الأرباب ، ومن ظلمات متابعة الهوى والشهوات إلى نور موافقة رفيع الدرجات .

وهذا السفر من أهم الأسفار وهو فرض عين على طالبى حضرة الجبّار ومريدى السعادة الكبرى فى دار القرار .

٧ — المنزل الرابع ، السفر فى أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى لأن الطالب لما طهرّ باطنه عن أسباب السعادة الكبرى إلى التعبد وجلا قلبه بآداب القرب فقد صار الآن من أهل السير والسلوك فى حضرة ملك الملوك ، وظهرت عليه آثار الولاية وأنظار العناية . وفى ذلك المقام تتفاوت منازل الأولياء ودرجات الأصفياء . قال أبو عبد الله محمد بن على الترمذى : « إنّ الله عزّ وجلّ عرّف العباد أسماؤه فلكل اسم ملك ولكل ملك سلطان وفى كل ملك مجلس ونجوى وهدايا وعطايا لأهلها . وجعل القلوب خاصّة مقام قرب ولىّ مقامه فى أوّل ملك ، وله من أسمائه ذلك الاسم وربّ ولى مقامه فى الملك الثانى والثالث والرابع

1-2 سورة ٢ آية ٢١

فكلما تخطى إلى ملك أعطى ذلك الاسم حتى يكون ولى يتخطى ذلك كله إلى ملك الفردية ، وهو الذى يأخذ بحظوظه من الأسماء وهو سـيّد الأولياء . قال فحظوظ العامة من أسمائه إيمانهم بها . وحظوظ المقتصدين وعامة الأولياء شرح الصدور بذلك واستنارة علم تلك الصفات فى صدورهم كل على قدره وقدر نور قلبه وحظوظ المحدثين ، وهم خاص الأولياء ملاحظه تلك الصفات ، وإشراق نورها على قلوبهم . وقد عرف ممّـا ذكره الشيخ — رحمه الله — أنّ لكلّ مقاماً يخصّه لا يتعداه ، وذلك بحسب قوته وطاقته على مقدار ما قدر الله له من الدرجات ، فاذ أوصل قلبه إلى ذلك المقام المعلوم ، انتهى سيره وسلوكه ، وتمّ سفره ، وليس فى هذا السفر انتقال من مكان إلى مكان ، لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافَر إليه إذ هو « أقرب إلى العبيد من حبل الوريد » ، بل هو رفع الحجب عن بصيرة القلب ، وتجلى صفات الربّ فيه . فهذا هو السفر الذى خلق ابن آدم لأجله .

فصل فى آداب هذا السفر

٨ — إعلم أنّ لسفر القلب إلى حضرة العزّة آداباً يتعلق بالظاهر وآداباً يختص بالباطن ، فأوّل آدابه فى الظاهر أن يخلى يده عن الأسباب والأملاك والأموال والأشغال الدنيوية ، فلا يكون له شغل إلا عبودية مولاه وطاعته وذكره . قال الله تعالى « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » . والتبتّـل الانقطاع عن الاغيار والاشتغال بحضرة الملك الجبّـار .

٩ — الأدب الثانى العزلة عن الخلايق لا سيما من يشغله عن حضرة الخالق . قال تعالى « واعتزلكم وما تدعون من دون الله » .

١٠ — الأدب الثالث أن يحفظ جوارحه السبع عمّـا يكرهه مولاه ، فيحفظ بصره عن فضول النظر ، وسمعه من استماع الغيبة والنميمة والفحش وأمثالها ، ولسانه عن جميع ذلك كله وعن جميع الفضول ، قال بعضهم « ليكن كلامك ذكر وصمتك فكر ونظرك عبرة » . وكذا يحفظ بطنه عن الحرام والشبهة وأن لا يأكل من الحلال على الشرّة والشهوة والسهو والغفلة ، بل على الحضـــور واليقظة . وكذا يحفظ يده ورجله وفرجه عن المكاره والمحرمات .

14 سورة ٧٣ آية ٨ — 17 سورة ١٩ آية ٤٨

١١ — الأدب الرابع أن يخالف نفسه ، ويجاهدها فى جميع ما يهويها من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب وغيره . فهو الجهاد الأكبر الذى أخبر عنه سيد البشر — صلى الله عليه وسلم — «وأعمّ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» . وهو أهمّ وفوايدها أشمل وأعمّ من الجهاد إلى الكفّـار إذ الكفّـار يقصدون المال والنفس ، وفيه الهلاك الأبدى والحرمان السرمدى . وقالوا : « موافقة النفس على مثال إلقاء الحطب فى النار ومخالفتها منع الحطب عنها » فاذا داوم على منع الحطب عن النار يوشك أن تنتفى نار الهوى فيستريح الطالب عن هوى نفسه .

١٢ — الأدب الخامس أن يطلب شيخاً بصيراً كاملا فاضلا يهديه إلى الطريق ويوصله إلى الحضرة بالتحقيق . إذ الطالب على مثال المريض ، قد اجتمع فيه أنواع العلل والآفات وأصناف الامراض والعاهات ، وهو لا يشعر بشىء من ذلك ولو شعرها ، فلا يقدر أن يعالج نفسه لضعفه وعجزه . فلا بدّ لمثله من طبيب شفيق رفيق يعرف علله وخلله ، ثم يدله على طريق الشفاء ، ويمده بهمته على معالجة الأدواء ، وهو على مثال مسالك البادية المهلكة ، ولا بدّ لمثله من دليل يدله وبدرقته يسوسه .

١٣ — الأدب السادس أن لا يشتغل الطالب بكثرة الأوراد ونوافل الطاعات وأنواع الخيرات والحسنات ، بل يجعل أوراده ورداً واحداً ، فيأتى بالفرايض والسنن والرواتب ، ثم يستغرق أوقاته فى الذكر . فقد قالوا « الذكر مفتاح عالم الغيب ، ومصباح عالم القلب » ، ولا دخول فى الدار بلا مفتاح ، ولا نور فى الدار المظلم إلا بسراج ومصباح . فيذكر الحق تعالى حتى يصير عاشقاً بالذكر لا يصبر عنه ساعة ، ثمّ يذكره حتى يصير الذكر عاشقاً عليه ، لا يخليه الذكر ساعة ، ثم يذكره حتى يصير الذكر الإنسى قدسياً . والذكر الإنسىّ ما يكون فيه الحرف والعدد والصوت ، والذكر القدسى ما يكون دايماً بلا حرف وصوت وعدد . ثمّ يظهر الفناء فى المذكور بحيث لا يكون له خبر عن ذكره ونفسه وحسّه درجات بعضها فوق بعض ، ومبدأه الذكر تكلفاً إلى أن يرتفع التكلف ويصير عادة وطبعاً .

١٤ — الأدب السابع المداومة على الصوم ، إذ فى ذلك قهر النفس التى هى أصل الحجب ومادة البعد ، ولو قلل الغذاء بالتدريج ، جاز ذلك ، فقد اختاره بعض المشايخ ولو توسط جاز ولا جرح عليه ، إذ قال — صلى الله عليه وسلم — : « نفسك مطيتك

2 بالهامش : + الهوى اتباع شهوة النفس والانهماك فيه. قال بعضهم سمى هوى لأنه يهوى لصاحبه فى النار أى يوقعه فيها بجعل اشتياقه من علوى يهوى هوياً بمعنى سقط من الأعلى إلى الأسفل .

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

فاوفق بها » . وقال « ومن يشاد هذا الدين يغلبه » . ولو اتفق إفطاره بالنهار ، لأجل تطييب قلب مضيف أو إشارة شيخ ، فعليه أن لا يعطى نفسه حظّها ، بل يقتصر على أى شىء ، ويأكل فى ذلك اليوم أقلّ مما يأكل فى يوم صومه حتى لا يعطى نفسه حظّين ، وعليه أن لا يداوم على الادام ، فذلك مكروه عند المشايخ لا سيما على أكل اللحم .

١٥ — الأدب الثامن المواظبة على الطهارة ، فانها سلاح المؤمن ، وأنه يورث نوراً فى الباطن . قال — صلى الله عليه وسلم — « الوضوء على الوضوء نور على نور يوم القيامة » .

١٦ — الأدب التاسع السهر بالليل . فانّ ذلك من جمل مهمات الطالب . قال تعالى «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » . وأنه وقت مناجاة الأولياء وخدمة الأصفياء .

١٧ — الأدب العاشر أن يجتهد فى طلب الحلال مهما أمكن . قال تعالى «كلوا من طيبات ما رزقناكم » . وقال — صلى الله عليه وسلم — : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » أى بعد فريضة الإيمان . وإن الحلال نوران فى الباطن والحرام ظلمة فى القلب . فقد قيل « من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه » . وإن تعذر الحلال المطلق بغلبة الشبهات يتناول ما هو قد شبهه بقدره . ثم يأكل منها على قدر الضرورة ، لا على قدر الحجة والشهوة .

١٨ — وإن تساهل الطالب فى هذا الباب ، فاعلم أنه لا يجىء منه شىء . قال صاحب الرسالة — رحمة الله على المريدين — أن لا يستحلّ سمة بشبهه فى أوان الضرورات ، فكيف عند الاختيار ووقت الراحات . وإنما فسد طريق أهل هذا الزمان لمساهلتهم فى هذا الباب ، وقلة ورعهم من الحرام والشبهة . وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « ملاك الدين الورع وفساد الدين الطمع » . فهذا نهاية آداب الطالب فى الظاهر ، أما آدابهم فى الباطن فكثيرة .

١٩ — من ذلك المراقبة ، وهى أن يراقب قلبه ولا يخليه حتى يدخل فيه هاجس نفسانى أو وسواس شيطانىّ ، إذا الله عزّ وجلّ رقيب عليه . قال تعالى « إنّ الله كان عليكم رقيباً » وقال — صلى الله عليه وسلم — « إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

٢٠ — الثانى إظهار الذلة والافتقار الى حضرة الملك الجبّار . قال أبو يزيد — قدس الله روحه العزيز — : « نويت فى سرّى أن خزانتنا مملوّة من الخدمة فان أردتنا فعليك بالذّلة

8 سورة ٥١ آية ١٧

9-10 سورة ٢٠ آية ٨١

20 سورة ٤ آية ١

24-1 كتاب النور للمهلجى ص ٧٠

والافتقار» . وقد علمت أنك محتاج مفتقر إلى مولاك فى كل ساعة وأوان من وجوه غير محصورة ، فتحتاج فى كل لحظة إلى أنوار عصمته وأنظار رحمته وحفظه وولايته وتوفيقه ومعونته وإرشاده وهدايته ورزقه وتغذيته . ثم أنك محتاج إليه عند الموت إلى أن يحفظ عليك نور الإسلام والعرفان ، وفى القبر حتى يعينك بالجواب الصواب لمنكر ونكير ، وتونسك فى وحشة القبور . ثمّ أحوج ما تكون إليه يوم القيمة يوم الحسرة والندامة ، حتى بيّض وجهك ويكشف عورتك ويثقل ميزانك ويخفف حسابك ويعطى بيمينك كتابك ويجيزك على الصراط وينجيك عن النار ويدخلك دار القرار . وأعظم التعظّم وأكثر المنن أن يرزقك مشاهدته ولقائه . فهذا أصول حاجاتك إلى مولاك فى دنياك وعقباك . فعليك أن يكون افتقارك إليه بقدر فقرك إليه .

٢١ — الأدب الثالث من آداب الباطن الإنابة إليه فى كل الأحوال فى حالة الضراء والسراء . قال تعالى فى حق سليمان « نعم العبد أنه أوّاب » وفى حقّ أيوب « نعم العبد أنه أوّاب » . فالأوّل يرى المنعم فى النعمة والآخر يرى المبلى فى البليّة ، فلا يحجبه النعمة عن المنعم ولا البليّة عن المبلى ، فيكون رجوعه على كلّ حال .

٢٢ — الأدب الرابع التسليم لأمر الله تعالى ، وهو أن يسلّم بقلبه نفسه إليه إذ هو بقلبه وقالبه ملك ، وتسليم الملك إلى المالك أمر ضرورى ، فيتصرف فيما يشاء كما يشاء فيعزّه ويذله ويحييه ويميته ويمرضه ويصححه ويغنيه ويفقره ، فلا يعرّض عليه ، البتّة فى هذه الأحوال ، ولا يشكو عنه فى السرّ والبال إذ الاعتراض على تصرّف المالك فضول ، والشكاية عن المولى فى دعوى العبوديّة والمحبّة قصور .

٢٣ — الأدب الخامس الرضا بمرّ القضاء ، فعوام المؤمنين مقامهم الصبر عند نزول البلاء ، وخواص العباد مقامهم الرضا بمرّ القضاء ، والفرق بين الصبر والرضا أنّ الصابر هو الذى يثبت فى مقامه من الإيمان فلا يضطرب ولا يجزع عند نزول البلاء ، وإن كان يشق عليه ذلك ويكرهه قلبه ، أما الراضى فهو الذى يكون طيب القلب راضى النفس لا يتفاوت عنده النعماء والبلاء . إذ يرى جميع ذلك من المحجوب ، فيلتذ بضربة الحبيب كما يلتذّ غيره بنعمته .

٢٤ — الأدب السادس الحزن الدايم ، قال — صلى الله عليه وسلم — « إن الله يحبّ كل قلب حزين » . وفى صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه كان دايم الفكر

11-12 سورة ٣٨ آية ٣٠ وآية ٤٤

متواصل الأحزان . وقالوا «كل قلب لم يكن فيه حزن ، فهو خرق» . وكيف لا يحزن المؤمن ، وهو لا يعرف سابقته بماذا جرت ، أبالسعادة أم بالشقاوة ، ولا يعرف خاتمته كيف يكون ، ولا يدرى ماذا تكسب غداً ولا يدرى لطاعته مقبولة أم مردودة ، ومعاصيه أمغفورة أم يؤخذ بها . وقد كان الشيخ أبو الحسن الخرقانى من أهل الحزن فسئل يوماً عن سبب حزن الرجال فقال «سبب حزنهم أنهم يريدون أن يعرفوه حق معرفته» وهذا شيء مستحيل ، إذ لا يعرف الله كما هو إلا الله .

٢٥ — الأدب السابع حسن الظنّ بالله . قال تعالى فيما يحكى عنه «أنا عند ظنّ عبدى بى فليظنّ بى ما شاء» . فعلى العبد أن يحسن ظنه بالله . وذلك من نتايج النظر إلى صفات الجمال من الكرم ، فالرحمة والجود وسعة المغفرة وكل من أساء ظنّـه بمولاه وقنط من رحمته ، فكأنه رأى ذنوبه وعيوبه أوسع من كرمه ورحمته ، وذلك إضافة نقص وعيب إلى حضرة القدس .

٢٦ — الأدب الثامن أن لا يأمن عن مكره . قال تعالى «أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» . وقال «إنما يخشى الله من عباده العلماء» والخشية من ثمرات النظر إلى نعوت الجلال والقهر ، فكما يوصف تعالى بالكرم والرحمة فكذلك يعرف بالقهر والعزّة . فقد قال تعالى «لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين» وفى الجزاية أنه يقول تعالى يوم القيمة لآدم «قم وابعث ولدك ، وابعث النار» فيقول آدم «كم» . فيقول من «كل ألف تسعماية وتسعون» . فكيف لا يخاف العبد منه مع علمه بهذا القهر والجبروت .

٢٧ — الأدب التاسع المحبة . قال تعالى «يحبّهم ويحبّـونه» سلالة المقامات وخلاصة الكرامات بها يصل العبد إلى حضرة ربّ الأرض والسموات ، وبها يرتفع إلى أعالى الدرجات . والمحبّـة من ثمرات معرفة الجمال . ولا جمال بالحقيقة إلا الله ، وكلّ جمال وكمال للخلق فهو ذرّة من نثار جماله ، وقطرة من بحار كماله . وإن كنت لا تعرف الجمال والكمال إلا لمن له صورة وقامة ، فأنت بعد محبوس فى عالم الصورة ، محروم عن عالم الحقيقة . فان الجمال الحقيقى والكمال العقلى فى اتصاف الذات بالعلم والقدرة والحيوة والكرم والجود والإحسان والحلم والقدس عن العيوب والنقايص . ولذلك يحبّ العلماء والأسخياء والكرماء والحكماء وأهل المبارزة والشجاعة لقدرتهم ، وأهل المعرفة والتقوى لمعرفتهم ونزاهتهم . وقد عرفت

12-13 سورة ٧ آية ٩٩

13 سورة ٣٥ آية ٢٨

15 سورة ١١ آية ١١٩ وسورة ٣٢ آية ١٣

18 سورة ٥ آية ٥٧

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

أن كل واحدة من هذه الصفات التى هى صفات الجلال والجمال ، فهى غير متناه أزلاً وأبداً ، وما سواه من الخلايق ، فجمالهم وكمالهم محدود معدود محدث متناه فان ، وهى مستعارة مستفادة من بحر جوده وجمال كرمه ورحمته ، فاذاً لا يستحق للمحبّة بالحقيقة إلا الله ، إذ لا جمال إلا لله وكل من أحب غير الله ، فاعلم أن ذلك أعمى عن رؤية جمال الله .

٢٨ — الأدب العاشر ترك المشيئة والاختيار والتوكل على الملك الجبّار . قال تعالى « ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء » . فما للعبد والاختيار إذا الاختيار من شأن الأحرار . قالوا « إذا بقى للطالب مشيئة واحدة ، يكون محجوباً عن الوصول إلى الحق » ، قيل لأبى عبد الله « ما تقول إذا بقى للطالب مشيئة الوصول » . فقال « ذلك من أعظم الحجب » . فاذا كانت مشيئة الوصول من أعظم الحجب ، فما ظنك إذا بقى له مشيئة الشهوات النفسانية والزهرات الدنياوية . وفى الجملة ينبغى أن يصير الطالب كالميت بين يدى الغسال ، حتى يستأهل للوصول إليه ، وبقدر مشيئته يكون محجوباً عن حضرة عزّته . فهذه أمهات آداب الباطن التى لا بدّ للطالب فى تجلية باطنه ، وتزيين قلبه بها ، حتى يصير من أهل الوصول إلى حضرة العزّة وإلا فيكون إرادته أمنية كاذبة ومحبّته دعوى غير صادقة ، ويكون فى دركات هوى نفسه وإن كان يزعم أنه مسافر إلى حضرة قدسه .

الباب الثانى

فى بيان أحكام السفر الظاهر وآدابه

٢٩ — قال تعالى ذكره « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » . وقال تعالى « قل سيروا فى الأرض فانظروا » ، والآيات فى هذا الباب كثيرة . وقال — صلى الله عليه وسلم — « سافروا تسخوا وتغنموا » فغنيمة أبناء الدنيا ربح الدنيا ، وغنيمة أبناء الآخرة ربح الآخرة ، وغنيمة الطالبين التقرّب إلى الله ، والوصول إلى حضرته . فاعلم بأن السفر جملة الأعمال المقربة إلى الله إذا كان بشروطه ونياته وآدابه . ونحن نذكر لك فصلا فى نيات السفر وفصلا فى شروطه وآدابه وفصلا فى آفاته لكن يحترز عنها المسافر .

6 سورة ١٦ آية ٧٥
17 سورة ٤ آية ٩٧
17-18 سورة ٦٧ آية ٦٩

9٠

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Naǧm Al-Dīn Kubrà.

الفصل الاول

فى نيات السفر وفوايده

٣٠ — واعلم بأن الأعمال بالنيات والثواب يكون مضاعفاً بحسب تضاعف النيات الحسنة ، ويكون أيضاً العقاب مضاعفاً بحسب تضاعف النيات الفاسدة القبيحة . والسفر قد يكون فرضاً ، وقد يكون نفلاً ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون حراماً . فمن الأسفار المفترضة السفر إلى بيت الله العتيق عند القدرة عليه . قال تعالى « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا » . وأكثر الفقهاء على أنه مشروط بالاستطاعة ، وهى الزاد والراحلة ، وشرط بعضهم القدرة ، وإن كان راجلا من شرايط وجوب الحج . وأركانه وآدابه مذكورة فى الكتب الفقه .

٣١ — النية الثانية زيارة النبى — صلى الله عليه وسلم — وزيارة الصحابة والمشايخ والأولياء — رحمهم الله — .

٣٢ — النية الثالثة زيارة الأحياء من الأولياء ، وإشراف الدين فى الاطراف والاستمداد من مهمهم والاستسعاد بنظرهم .

٣٣ — النية الرابعة طلب العلم النافع . فقد قال — صلى الله عليه وسلم — « اطلبوا العلم ولو بالصين » ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر فى حديث واحد بلغه عن عبد الله بن الانيس الأنصارى يحدثه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى يسمعه . قال أبو طالب : « فمن سافر من عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والصحابة إلى يومنا هذا فى طلب العلم أكثر من أن يحصى وفى الخبر من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله » . وفى حديث آخر أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع .

٣٤ — النية الخامسة الهرب من وطنه ومصره طلباً لسلامة دينه . وذلك إذا كثر الخبث والفساد وظهر الفسق والعناد فى وطنه . فعليه أن يسافر نكيلا يسرى إليه شؤم تلك المعاملات فى ظلمات تلك المعاصى ، فانه قد ورد فى وصايا المشايخ للمريدين الذين أرادوا السفر إذا

6-7 سورة ٣ آية ٩٧ — 17-19 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٢ ، ١٢ – ١٤

دخلتم مصراً فيه فساد غالب فلا تلبثوا فيه ليلة واحدة ، فانه يسرى إليكم من شؤم الفسق الغالب أثر .

٣٥ — النية السادسة طلب الحلال والفرار عن الحرام . وذلك إذا كان الحلال متعذراً أو متعسراً فى وطنه ، فعليه أن يسافر طلباً للحلال . فقد قال — صلى الله عليه وسلم — « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

٣٦ — النية السابعة طلب شيخ يهديه ويرشده إذا لم يكن فى وطنه . وذلك فرض عين على الطالب فى الطريقة ، ومندوب له فى الشريعة . إذ قال المشايخ: « من لم يكن له إمام فامامه الشيطان » . وقالوا: « الشجرة إذا نبتت بنفسها فانها تورق ولكن لا تثمر » .

٣٧ — النية الثامنة الفرار عن الجاه والشهوة ، إذا كان الطالب ذا جاه وحرمة . قال أبو طالب : « ربّما خرج المريد طلباً للخمول والذلة خشية الفتنة بالشهرة ورجاء صلاح قلبه واستقامة حاله فى البعد من الناس » . قال : « وقد كان الثورى يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل وكيف بالمشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كما عرف فى موضع تحول إلى غيره » وقيل : « الخمول نعمة وكلّ يتوقاها والشهرة محنة وكل يتمناها » .

٣٨ — النية التاسعة الفرار عن المألوفات فانّ القلوب يتعلق بما ألفه ، وذلك الالف والتعلق يقع حجاباً له ولذلك قيل « الصوفى يمشى كلّ يوم على مقدار طول العصا » . والسرّ فى سـيره ما ذكرنا من رفع حجـاب الألف ، والسرّ فى قلة سيره أنه حيث ما كان فمطلوبه معه .

٣٩ — النيـة العاشرة زيارة أحد المساجد الثلاث . قال — صلى الله عليه وسلم — « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاث المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » .

٤٠ — النية الحادية عشر زيارة الأخ فى الله . وفى الخبر أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً . فقال « إلى أين تريد » . فقال : « أخ لى بهذه القرية أزوره » . فقال « أبينك وبينه رحم تصلها » . قال « لا » . قال « فله عليك نعمة تربها » . قال « لا ألا أحببته فى الله تعالى » . قال « فانىّ رسول الله عزّ وجلّ إليك نبشرك بالجنّـة ونخبرك أنه قد غفر لك بزيارة أخيك » .

10-13 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٢ ، ١٧–١٨ و ٢٣ – ٢١

٤١ — النية الثانية عشر الفرار عن الرفقاء والأصحاب السوء الذين يدعونه إلى متابعة الهوى وعصيان المولى ، وطلب رفقاء الدين وأصحاب المعرفة واليقين . وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « مثل صاحب السوء كمثل صاحب الكيد » (الحديث) .

٤٢ — النية الثالثة عشر مجاهدة النفس التى فى عدوّ الله وعدوّ العبد . فانّ فى تعب الأسفار وركوب الأخطار وهجران الأوطان والأهل والإخوان ما يكون مخالفة للنفس الأمارة بالسوء وقهرلها . قال تعالى « اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم » فجعل الخروج من الديار فى مقابلة القتل . ولذلك كانت الهجرة سنة الأنبياء والأولياء ، ولذلك قيل « السفر قطعة من النار » .

٤٣ — النية الرابعة عشر تعرف أخلاق نفسه . فانّ للنفس عيوباً مستكمنة وأخلاقاً خفية لا يعلمها صاحبها عن نفسه ، وإنما يظهر له عند السفر ، فقد قيل : « إنما سمى السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق ومعرفة عيوب النفس من أسباب السعادة » . قال — صلى الله عليه وسلم — : « إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه » ، والسفر وسيلة إلى هذه السعادة ، ولذلك قيل « وهل سافرته وهل عاملته » .

٤٤ — النية الخامسة عشر أن ينوى تهذيب الأخلاق وتطييب الأعراق ، وذلك بواسطة تحمّل المشاق ، والتحلم عن الإخوان . فقد قيل « الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم والحلم من أكمل خصال العبد » . قال — صلى الله عليه وسلم — «كاد الحليم أن يكون نبيّاً » وذلك يحصل فى السفر .

٤٥ — النية السادسة عشر تصحيح مقام التوكل ، كما سئل ابراهيم الخواص عن سبب اختياره للأسفار . قال « أصحح حالى فى التوكل » وذلك كان تصحيح مقام التوكل لا يتيسر فى الوطن لازدحام الأسباب التى يعتمد عليها بخلاف السفر . فان فيه قطع الأسباب والانقطاع عن الخلايق والأملاك .

٤٦ — النية السابعة عشر الاستبصار بآيات العظمة والاعتبار بشواهد القدرة . فانّ فى مشاهدة الخلايق المختلفة ومعاينة الصور والطبايع المختلفة المتباينة استشهاداً على عظمة الخالق وعظم قدرته وسعة علمه وإحاطته . قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

6 سورة ٤ آية ٦٦ — 24-25 سورة ٤١ آية ٥٣

٤٧ — النية الثامنة عشر زيارة الوالدين والأقرب إن كان غايباً عنهم . وقد يكون ذلك فرض عين . فقد قال تعالى « وبالوالدين إحساناً » وقال — صلى الله عليه وسلم — « رضاء الله فى رضاء الوالدين » . وكذلك السفر تطييب قلوب ساير الأقرب مندوب وربّما يكون فرضاً إن كان ذلك من جملة خياله .

٤٨ — النية التاسعة عشر الابتغاء عن فضل الله . وذلك إذا كان الرزق ضيقاً عليه فى وطنه ويشوش بذلك قلبه ، فعليه أن يسافر . فى الحديث « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله » . فحيثما وجدت رزقاً فأقم واحمد الله تعالى . قال أبو نعيم : « رأيت الثورى وقد علق نعليه بيده ووضع جرابه على ظهره » . فقلت له : « إلى أين يا با عبد الله » . قال : « قد بلغنى عن قرية فيها رخص فأريد أن أقيم فيها » فقلت : « أتفعل هذا يا با عبد الله » . فقال : « نعم إذا بلغك عن قرية فيها رخص فأقم بها فانه أسلم لدينك وأقل لهمك » .

٤٩ — النية العشرون أن يكون المسافر (عالماً) كاملا وشيخاً ناصحاً ، فيسافر إلى قوم جهلة وأهل ضلالة ليعلمهم دينهم ويقوى يقينهم ويرشدهم إلى الصراط المستقيم . وله فى ذلك ثواب نيابة النبوّة . ومن الأسفار أن يكون مباحاً وذلك إن كان بسبب طلب دنيا مباح أو أمر مباح ومنها ما يكون معصية إذا كان فى طلب معصية أو بغير إذن الوالدين كما سنبين ذلك فى الفصل الثانى .

الفصل الثانى

فى شروط السفر وآدابه

٥٠ — ومن شروط هذه الأسفار إذن الوالدين ، إذا لم يكن السفر فرضاً مثل الحج ، وأن لا يبرّك أهله وأولاده ، ومن يلزم عليه نفقته ضايعين ، وإن كان له شيخ فلا يجوز له أن يسافر إلا باذنه وأمره . وإن كان عليه دين فلا يسافر إلا بعد قضاية . وإن عجز عن الأداء فعليه الاستيذان منه .

٥١ — الثانى أن يطلب رفيقاً صالحاً ذا دين وعقل متين . فقد قيل « الرفيق ثمّ الطريق » .

2 سورة ٢ آية ٨٣ وغيرها — 7-10 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٢ ، ٢١-٢٣

٥٢ — الثالث أن لا يكون معه معلوم بل يكون سفره على التجربة والتوكل . فقد قيل « المعلوم شؤم » . وقال أبو طالب : « من لم يكن له معلوم معهود فمعلومه العلّام الودود » . وقال رجل للبشر بن الحارث : « إنىّ أردت سفراً ولكنى منعنى منه العدم » . قال : « لا يمنعك العدم من سفرك واخرج لقصدك فان لم يعطك ما لغيرك لم يمنعك مالك » قال أبو طالب : « كان ابراهيم الخواص يقول كفّ فارغ وقلب طيب وترجيه غير معلوم » .

٥٣ — الرابع أن يكون سفره راجلاً إن قدر على ذلك ، لأنه أقرب إلى التواضع وأبلغ فى المجاهدة وأبعد عن العلاقة .

٥٤ — الخامس أن يصلّى ركعتين عند الخروج ويدعو بدعاء النبى — صلى الله عليه وسلم — : « اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البرّ والتقوى ومن العمل ما ترضى هوّن علينا سفرنا . اللهم إنىّ أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال » . وإنه ركب مطيّة كبر ثلاثاً وقال : « سبحان الذى سخّرلنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنا إلى ربّنا لمنقلبون » .

٥٥ — الأدب السادس أن ينزل عن الدابة أحياناً تخفيفاً لها وتطييباً لقلب المكارى ، وأن لا يضرب راحلته إلا عند الضرورة .

٥٦ — الأدب السابع أن يؤمروا واحداً إن كانوا ثلثة فصاعداً ، فذاك سنة أهل الدين ، وقد ورد الأمر به فى الأثر ، ومن أمر فعليه أن يتحمّل مؤوناتهم ويسهل عليهم حاجاتهم ويختار المشاق لنفسه دونهم كذا فعل جماعة الفقراء الكبراء .

٥٧ — الأدب الثامن أن يحسن أخلاقه مع الرفقاء ، فيقل مخالفتهم ، ويكثر موافقتهم ، ولا يخالفهم إلا فى معصية حتى يصير حسن الخلق عادة له . فذاك من أعظم فوايد السفر . وقد قيل « حسن الخلق قلة المخالفة وكثرة الموافقة » .

٥٨ — الأدب التاسع أنه إن وجد رفيقاً صالحاً معيناً له فى الدين ، فلا يخلى يده عنه بسبب أمر نفسانى ، ولا وحشة هوائيّة . فان النفس عدوك والرفيق صديقك والإنسان لا يترك صديقه بسبب رضا عدوه .

٥٩ — الأدب العاشر أن يكون قلب الطالب معه حيث ما كان ، ويكون ابن وقته فلا يعلق قلبه بسير سريع ، لكن يصل إلى شهر وولاية ، ويستريح من مشاق السفر ، بل

2 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٣ ، ١٩ — ٢٠

3-6 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٣ ، ٢٤-٢٦

11 سورة ٤٣ آيتان ١٣ — ١٤

24 «شهر» كلمة فارسية بمعنى « المدينة »

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

يكل أمره إلى مولاه ، ويكون راضياً بما يختاره له ويرضاه . فان فى ذلك تفرق الهم ، وتشتت القلب ، وذهاب الجمعية ، فانهم رأس مال الطالب .

٦٠ — الأدب الحادى عشر أن يكون فى وقت سيره ذاكراً لربّه ، مشتغلا بثنائه وحمده ، مواظباً على وظايفه وأوراده فى الحضر من القراءة والصلوة وغيرها حتى لا يضيع بسبب سفره ساعات عمره .

٦١ — الأدب الثانى عشر أن يسأل عن الناس شيئاً عند احتياج أصحابه ورفقائه ، ولا يسأل لنفسه شيئاً إلا عند شدة الحاجة والفاقة . قال أبو طالب: « من جاع ولم يسأل ومات دخل النار » . وقال أبو طالب: « من طرقته فاقة أو رهقته حاجة لم يخرجه من التوكل أن يسأل إذا عدم القوّة والصبر ، لأنه حينئذ يسأل لربّه لا لنفسه ولإقامة فرضه وحفظ عقله الذى هو مكان تكليفه » . ألم تر إلى أمامى أهل الظاهر والباطن استطعما أهلها قال: « وكان أبو سعيد الخراز يمدّ يده عند الفاقة ويقول ثم شىء لله » .

٦٢ — الأدب الثالث عشر أن يكون سؤاله بقدر الحاجة وعند ظهور الفاقة ، لا زايداً عليه ، وإن حصل له معلوم من غير سؤاله زايداً على حاجته ، فعليه أن يفرقه فى وقته ، ولا يأخر منه شيئاً لوقت ثان ، فان كل يوم يجيى برزقه .

٦٣ — الأدب الرابع عشر أن لا يفارقه الإبرة والركوة . أما الإبرة فلخياطة ثوبه أن يخرق ستر العورة ، وأما الركوة فللطهارة . وكان ذلك لا يرى ذلك علاقة ولا معلوماً . وقال أبو طالب « ينبغى أن يفارقه من الأسباب الأربعة الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض » . قال : « لاوكان الخواص من المتوكلين ولم يكن هذه الأربعة يفارقه وكان يقول ليست هذه الدنيا » . وما زاد على هذه الأربعة فعلى الطالب المتوكل أن يجرّد نفسه عنها لأنها من الدنيا .

٦٤ — الأدب الخامس عشر أن لا يسكن فى بلد أكثر من عشرة أيام إن كان فيه شيخ ، وإن لم يكن فيه شيخ فثلاثة أيام ، كذا نص عليه المشايخ . وقال أبو طالب « كان الخواص لا يقيم فى بلد أكثر من أربعين يوماً » . ويرى أن ذلك عليه فى توكله وهذا رخصة منه فى الأربعين .

7-8 قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٤ ، ٢ — ٣
8-10 إلى قوت القلوب ج ٤ ص ١٠٣ ، ٢٦ — ١٠٤ ، ٢
10-11 قوت القلوب ج ٤ ، ١٠٤ ، ٧ — ٦
17-18 قوت القلوب ج ٤ ، ص ١٠٥ ، ١١—١٢
21-22 قوت القلوب ، ج ٤ ، ص ١٠٥ ، ١٦ — ١٧

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.

٦٥ — الأدب السادس عشر أن يسعى فى الخمول وأن لا يظهر نفسه إن كان له جاه عند الناس ، فان ذلك سعى منه فى تعظيم الناس له ، وسعى منه فى حصول الارفاق ، وذلك خلاف طريق الطالبين الصادقين . فالطالب الصادق أبداً يكون سعيه فى مخالفة هوى نفسه وتصحيح توكله ، فان ذلك مما يقاربه إلى الله . وتعظيم الخلايق وظهور المرافق مما يبعده عن حضرة الخالق .

٦٦ — الأدب السابع عشر أن لا يكون متحنياً لمشاهدة البلاد ومعاشرة العباد ، فان ذلك من شهوات النفوس .

٦٧ — الأدب الثامن عشر أن يدخل البوادى والمفاوز وحده بالتوكّل مجرّداً بلا علاقة ولا معلوم قد فعل ذلك جماعة من الصادقين .

٦٨ — الأدب التاسع عشر أن يراعى أوقات الصلوات ولا يفوته الصلوة فى أوّل وقتها ، فيفوت عنه رضوان الله ويحط إلى درجة عفو الله ، فقد ورد فى الأثر: « أول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله » ، وهو بسفره يطلب رضوان الله فعليه أن لا يفوت بسفره رضوان الله .

٦٩ — الأدب العشرون أنه إذا دخل بلدة ، فعليه أن يتفقد أحياءهم وأمواتهم ، فيزورهم ويستمدّ من مهمهم ويستفيد من بركاتهم .

الفصل الثالث

فى بيان آفات السفر

٧٠ — قال أبو طالب المكى — رحمه الله — : « على المسافر من أهل القلوب أن يفرق بين سكون القلب إلى الوطن والسفر ، وبين سكون النفس اليهما ، فان ذلك غير معلوم ، وقد يلتبس فيحتسب من لا بصيرة له ولا تفتيش لحاله إن سكون النفس هو سكون القلب ، فينقص بذلك ولا يفطن لنقصانه . فان كان قلبه يسكن إلى أحدهما ، ففيه صلاح دينه وعمارة آخرته ومحبة ربّه ، فهذا سكون [النفس و]القلب ، لأنه يسكن إلى أخلاق الإيمان ، وما ورد العلم به وإن كانت نفسه تسكن إلى أحدهما مما فيه عاجل حظوظه وعمارة دنياه وموافقة

17-9 قوت القلوب ، ج ٤ ص ١٠٥ ، ٢٠ — ١٠٦ ، ٩

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Naǧm Al-Dīn Kubrà.

هواه ، فهذا سكون نفس لأنها تسكن إلى معانى اللهو ، فليتحوّل من الوطن إلى الغربة وليرجع من الغربة إلى الحضر . ومن كان فى سفره على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام بأحكامه ، فهو على هوى وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة » . قال « وفصل الخطاب أن من لم يكن له فى سفره حال يشغله وهمّ يجمعه ووقت يحبسه ومأوى يظله وسكن يؤنسه وزاد من باطنه وعلم من عالمه ، فان الحضر أوفق بحاله وأصلح لقلبه وأسكن لنفسه من السفر ، لأن السفر يشتت همّه ويفرق قلبه تارة بوجود معلوم يخاف عليه ومرّة يفقد معتاد يحنّ إليه ومرّة يقوى بالاستطلاع السير ، فمثله يكون فى السفر فى نقصان » قال « والسفر يجمع همّ الأقوياء وينور بصيرة العلماء ويثبت قلوب الضعفاء ويذهب أحوال أهل الابتداء ، ثم إن من لم يصلح قلبه ولم يستقم ⟨ حاله فى الحضر فانه لا يصلح حاله ولا يستقيم قلبه فى السفر ⟩ » .

٧١ — فعلى الطالب أن يعتبر نفسه فيما قال حتى يعلم أنّ سفره هل هو سفر دينى عقباوى إلهى أم سفره هوائى نفسانى دنياوى . فمن لم يجتمع عليه الأوصاف التى ذكرها فى فصل الخطاب من حال شاغل وهمّ جامع ووقت لنفسه حابس ومأوى فى حضرة القدس مظل وسكن من الأنوار مؤنس وزاد من المحبّـة مغذى وعلم من الحق مقوى ، فسفره سفر هوى وسيره سير محنّـة وبلوى ، لا حقيقة وتقوى ولا مقرب إلى حضرة المولى ، ويكون الحضر أولى من السفر. قال أبو يعقوب السوسى « يحتاج إلى المسافر أربعة أشياء إلى علم يوسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه ، فمن لم يكن فيه هذه الأربعة ، فنقصانه وخسرانه فى السفر أعظم من ربحه وزيادته » .

٧٢ — قال صاحب الرسالة أن القوم قد استوفوا آداب الحضور من المجاهدات ، ثمّ أرادوا أن يزيدوا عليها شيئاً ، فأضافوا أحكام السفر رياضة لنفوسهم حين أخرجوها عن المعلومات وحملوها على مفارقة المعارف كيف يغشون مع الله بلا علاقة ولا واسطة ، فلم يتركوا شيئاً من أورادهم فى أسفارهم ، وقالوا « الرخص لمن كان سفره ضرورة » ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة فى أسفارنا علينا . قلنا : وفى السفر آفات منها ما ذكرنا أنه يغرق القلب وتشتت الهمّ ويسىء الخلق ويضيع عن الذكر والطاعة العمر ، وقد يبتلى بالرفقاء السوء فيضل ويسرى إليه من أخلاقهم ومعاملاتهم ما يقسى القلب ويظلم الباطن لا سيما فى هذا الزمان الذى كثر فيه الأشرار وغلب فيه الأغيار وقلّ فيهم الأخيار والأبرار ، فان كنت أيها الطالب من جملة الأقوياء الذين لا يؤثر فيهم فساد الخلق وصلاحهم ولم يشوش السفر قلبك ولم يشتت همك بل زادك السفر جمعية وحضوراً ومعرفة ونوراً وقوة وسروراً ، فانت فى سفرك مغبوط وفوزك وفلاحك فى سيرك مربوط منوط . وإن كان الأمر بالعكس من ذلك ، فأنت

فى سفرك ملوم مذموم وعن فوايده بعيد محروم . ومن يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلك فلا هادى له . بصرك الله وإيانا بعيوبك وعيوبنا المسكنة . فانّ ذلك من عظايم المنّـة حتّى يهتدى لسواء السبيل وينجو من الويل والعويل ويصل إلى حضرة الجليل ! إنه على ذلك قدير وباجابة العبد جدير والحمد على إتمامه .

ثمّ هذه (كذا !) الكتاب آداب السلوك إلى حضرة مالك الملك وملك الملوك من تصانيف الشيخ الإمام الكبير العلامة شيخ المشايخ سيد الحفاظ قطب الأولياء محيى الطريقة المثلى مظهر كلمة الله العليا نجم الحق والدين الكبرى أبى الجنّـاب أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الصوفى الخيوقى الخوارزمى — قدس الله روحه ونور ضريحه — بيد العبد الفقير الطالب رضوان الله الغنى ملو (؟) محمد بن أحمد بن محمد العاوى الأردكانى — غفر الله لهم ولجميع المؤمنين — فى غرّة صوة يوم الخميس جمادى الآخر سنة اثنين وأربعين وثمانماية .

AnIsl 4 (1963), p. 1-78 MOLÉ (Marijan)
Traités mineurs de Nağm Al-Dīn Kubrà.